

مخالب الاستعمار على التعليم العربي في إفريقيا نيجر وتشاد والسنغال أنموذجا

تأليف: إبراهيم محمد جبريل النشر: 2023126 المصدر: 781428.

مقدمة

ظهرت الآثار السلبية للاستعمار على اللغة العربية عن طريق إرادة سيطرة اللغة الاستعمارية على اللغات الأخرى في إفريقيا، وازدواجية المدرسة الفرنسية العربية، ابتدعتها الفرنسيون لجذب عقول المسلمين وإقناعهم حتى تسيطر لغتهم على اللغة العربية، وتغيير الهوية الثقافية للمسلمين، وكان تأثير الاستعمار اتسم بالحيل والدهاء لكن همه وشغله الشاغل ازدهار اللغة الفرنسية على اللغة العربية والسيطرة عليها.

التعليم العربي الإسلامي في النيجر

غزا المستعمر شعب منطقة النيجر في مختلف مستويات حياته الدينية واللغوية والفكرية والسياسية، وشككه في سيادته الذاتية وأثبت له التبعية والشعور بالنقص، لما دخل الإسلام منطقة النيجر في القرن السابع الميلادي مصاحبا معه اللغة العربية وقد وجد قبولا من أبناء المنطقة، فتأثرت اللغات المحلية ولهجاتها المتعددة، وحظيت بالقداسة؛ وباتت لها سيادة في المنطقة على سائر اللغات فاستخدمت في الشؤون الدينية والمراسلات الرسمية بين الطبقة المتعلمة والحاكمة، والاستعمار الفرنسي فرض سيطرته وسطوه على المنطقة وأبنائها وأرغمهم على أن يكونوا تبعاً لهم في اللغة والفكر والسياسة والاقتصاد، فضعف الوازع الديني في المنطقة وتبعه في ضعفه وركوده اللغة العربية.

كانت اللغة العربية في النيجر لغة الدين والثقافة والإدارة: كانت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والإدارة في منطقة النيجر منذ أن رسخ قدم الإسلام فيها، وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة في المجتمع وبخاصة في عصور الإمبراطوريات الإسلامية منها: إمبراطورية مالي وسنغي، ولدى الفولانية في صكتو وماسنا وكانم وبرنو، وقد ظلت سائدة حتى مع سقوط الدول الإسلامية وسيادة الفوضى في عهد الرماة في تنبكت والمناطق المجاورة لها، والمتأمل في الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا يجد أن خير مقاييس لها هي: عدد العلماء، عدد الطلبة وتنوع أماكن التعليم، حركة التمدن، الكتب الواردة، والمكتبات الخاصة ودرجة اتساع التأليف.

كان لعلماء المنطقة إسهامات فعالة في حركة التأليف، تشخصها مؤلفاتهم في مختلف العلوم والفنون مثل الفقه والتاريخ والعقيدة والنحو والصرف وغيرها من العلوم الشرعية واللغوية. ومن أشهر المؤلفين في عهد سنغاي الشيخ أحمد بابا الذي ذاعت شهرته في المنطقة وخارجها بدروسه ومؤلفاته ومن أشهرها تطريز الديباج، وقد بلغت حركة التأليف ذروتها في عهد الخلافة العثمانية في صكتو وفي عهد حركة الحاج الفوتي في غينيا والسنغال ومالي، وبخاصة في فترة اختلافه مع الشيخ أحمد لبو في ماسنا حيث تبادلوا رسائل عدة يحاول كل منهما أن يقنع الآخر بفكرته، وتعكس هذه الرسائل مدى تمكنهما في اللغة العربية. وقد جمعت تلك الرسائل في كتاب بعنوان: ما وقع، وكذلك الرسائل المتبادلة بين أحمد لبو وأمير المؤمنين في صكتو في عهده الشيخ أبو بكر العتيق بن عثمان بن فوديو، وأسهم علماء منطقة أغاديس في هذا المجال ومن أشهرهم الشيخ جبريل بن عمر والأستاذ الشيخ عثمان بن فوديو، ولعلماء برنو إسهامات مماثلة في هذا المجال وبخاصة الشيخ أحمد فرتو، وهذه الإسهامات تعكس لنا وضعية اللغة العربية والثقافة الإسلامية في هذه الحقبة ومدى انتشارهما في منطقة غرب إفريقيا قبل الاستعمار.

مخالب الاستعمار على التعليم العربي الإسلامي في النيجر في عهد الاستعمار

بدأ الاحتلال الفرنسي لبلاد النيجر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بعد مؤتمر برلين عام 1880م الذي عمل فيه الغرب خطته لاحتلال القارة الإفريقية. لقد فرضت فرنسا سيطرتها كاملة على النيجر بأكملها وأصبحت النيجر

مستعمرة فرنسية عاصمتها زندر ثم نقل العاصمة إلى مدينة نيامي، واعتبرت النيجر امتدادا للجمهورية الفرنسية فيما وراء البحار.

البعد السياسي للاستعمار في النيجر: لقد بنى المستعمر الفرنسي إدارة الشؤون على فلسفة التمويه، فأبدى للشعب المستعمر مبدأ المساواة بينهم وبين الشعب الفرنسي في الحقوق والواجبات، وهذا التكلم إن كان جميلا في ظاهره إلا أن في باطنه العذاب، إذ معناه استبدال عادات وثقافة الشعب النيجري بعادات وثقافات فرنسا وأعرافها حتى يصبح تفكيرهم واتجاههم في مختلف نواحي الحياة كالفرنسيين، ولتحقيق هذا الهدف يقتضي قطع كل صلة الشعب النيجري المسلم بتاريخه الإسلامي وحضارته الإسلامية بمختلف مظاهرها ومقوماتها.

اللغة العربية في عهد الاستعمار: اللغة العربية في منطقة النيجر قبل الاستعمار كانت لغة الثقافة والتعليم والمعرفة، بل هي لغة التعامل بين الفئة المثقفة من المجتمع، فكانت توظف في الشؤون الاجتماعية والدينية والسياسية، وكانت اللغات المحلية تكتب بالحرف العربي، فكانت تعكس ثقافة عربية إسلامية واسعة وعريقة في المنطقة. ومعنى هذا أنه لما هيمنت فرنسا على منطقة النيجر ألفت أن اللغة العربية هي لغة الدين والثقافة والحياة الإدارية، وشعر المستعمرون بأن الثقافة الإسلامية بعمومها تمثل عرقلة كبيرة تحول بين تحقيق أغراضهم. فما إن خضعت منطقة النيجر تحت سيطرة فرنسا المستعمرة فأصبحت اللغة العربية والثقافة الإسلامية بعامة تضعف وتتواهن، ذلك أن الاستعمار استبدل العربية بلغته الفرنسية، وحروف العربية المستخدمة في كتابة اللغات المحلية بالحرف اللاتيني، الأمر الذي كان له بالغ الأثر في وهن اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالمنطقة.

الوسائل التي اعتمدها المستعمر لتغيير وضعية اللغة العربية والثقافة الإسلامية

- 1 منع استيراد الكتب العربية إلى المنطقة من البلدان العربية.
- 2 منع الحجاج من اصطحاب الكتب الدينية والعربية معهم عند عودتهم من الحج.
- 3 منع افتتاح مدرسة عربية إلا برخصة من السلطات الاستعمارية، وذلك للحيلولة دون أداء المدارس العربية دورها في استعادة سيادة اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
- 4 حظر استعمال اللغة العربية في كل المرافق الإدارية والاقتصادية والاجتماعية.
- 5 مراقبة المؤسسات الدينية الإسلامية حيث حددوا نطاق إنشاء المساجد.
- 6 منع المتعلمين من التحدث بالعربية والتعامل بها بأي شكل من الأشكال، وبلغ من تعنتها أن حاولت استبدال اللغة العربية في المجالس والمدارس باللغات المحلية.
- 7 تصيد ضعاف القلوب من سكان المنطقة لتحطيم مقوماتهم الدينية والثقافية بتسهيل سبل العلم والعمل لهم.
- 8 تأسيس بعض مدارس عربية نظامية عصرية في بعض المدن التي كانت مراكز للثقافة الإسلامية، ثم حملوا أبناء العلماء على التعليم الإجباري في تلك المدارس ليحلوا محل آبائهم في تسيير شؤون الكتاتيب بعد تخرجهم.
- 9 تشديد الرقابة على كل المطبوعات العربية سواء أرسلت بالبريد أو بغيره.
- 10 إحصاء كتب العلماء بغرض حصرها وفرض الرقابة عليها.

لقد تأثرت اللغة العربية ومؤسساتها في المنطقة بعد فترة من الزمن أيما تأثر بالوسائل التي استخدمها المستعمر ضد الثقافة الإسلامية، وقد ظهر أثر ذلك جليا بتناقص عدد المدارس العربية والإسلامية وتلامذتها، وأدت إلى ركودها وخمولها.

المدارس القرآنية والحلقات العلمية في النيجر

لقد ظل المسلمون في النيجر متمسكين بالمدارس القرآنية والحلقات العلمية ولم يفتر من عزمهم إجراءات وقيود السلطات الاستعمارية، ووجد علماء تفرغوا لتدريس الطلبة، وكان له حلقة علمية في مدينة زندر، والشيخ يوسف بن خليل في منطقة تياالبيري، وكان له حلقة علمية في قريته سندر يتوافد عليه طلبة العلم من جل أنحاء منطقة النيجر. والشيخ محمد الشفيع نووي عصره، وهو عالم متضلع في العلوم الشرعية واللغوية، وله مؤلفات عدة في العلوم المذكورة غير أنها لا تزال مخطوطة لدى ورثته في مدينة أبلغ بمنطقة تاوا، وقد أسهم هؤلاء العلماء وغيرهم في حفظ اللغة العربية والثقافة الإسلامية في مستعمرة النيجر.

اللغة العربية والتعليم العربي في تشاد

أكبر عامل من عوامل انتشار اللغة العربية هو وجود وانتشار البدو من العرب، وتحدها من الشرق جمهورية السودان ومن الشمال ليبيا وهاتان دولتان عربيتان لا شك أن لهما تأثير في ذلك، ومن جهة أخرى أنها أصبحت ملتقى للعمليات التجارية وممرًا لكثير من الحجاج لا بد من عبوره، مما جعلها تعقد العلاقات والمبادلات التجارية والتعاونية مع العالم العربي والإسلامي.

كانت اللغة العربية تسير إلى جنب الإسلام وقد بدأ التعليم العربي منذ ذلك الحين في المؤسسات التقليدية من المساجد والخلوي والحلقات وبيوت العلماء حيث يتعلم الطلاب القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والعربية، واستخدمت اللغة العربية لنشر ثقافة غنية ومتنوعة، ترجمت بفكر كبار الكتاب التشاديين مثل الشيخ عبد الحق السنوسي في أبشة في القرن التاسع عشر.

انتشار اللغة العربية في تشاد

يرجع انتشار اللغة العربية في تشاد إلى عدة عوامل منها:

1. إحساس المواطنين بضرورة تعليم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الإسلامية والشعائر الدينية.
2. انتشار القبائل العربية في معظم المناطق التشادية.
3. التفاعل والتصاهر بين القبائل العربية والقبائل الأخرى.
4. تعدد القبائل واللهجات التشادية مما أدى إلى صعوبة التفاهم والتخاطب إلا باللغة العربية.
5. هجرات العلماء والفقهاء من الحجاز ومصر إلى إفريقيا بصفة عامة لتثقيف المسلمين وتعليمهم أمور دينهم.
6. تبني جميع الممالك الإسلامية التي قامت في تشاد اللغة العربية وجعلها لغة رسمية في دواوينها.

التعليم العربي في تشاد

فلو تتبعنا تاريخ التعليم العربي في تشاد لوجدنا له وجودا فيها منذ القرن السابع الميلادي كما ذكر الأستاذ الدكتور أيوب، حيث استطاعت اللغة العربية مع مرور الأيام أن تكون اللغة الوطنية الأولى ولغة التخاطب للأمة التشادية إلى أن منيت البلاد في بداية القرن العشرين بالاستعمار الفرنسي الذي حاول في نهايات وبدايات القرنين 19 و20 طمس معالمها ويفقدها ميزتها، ويمحو وجودها ويعمها بالخراب، مع ذلك فقد بقيت اللغة العربية صامدة تتطور شيئا فشيئا إلى أن بلغت المرحلة التي هي فيها الآن.

ففي عام 1901م تدرس اللغة العربية على شكل تعليم قرآني اختياري، الهدف منه جذب أبناء المسلمين إلى

المدارس الاستعمارية، فقد قام المستعمر بعدما فشل في سياسته التعليمية في تشاد وتنبيه أن السبب الرئيسي في ذلك هم العلماء، قام بارتكاب مجزرة الككب عام 1917م في مدينة أبشة، حيث قتل فيها أكثر من 400 عالم، وهدفه من ذلك هو توطيد هيمنة الثقافة الفرنسية. ولم يقتصر على هذه الحادثة وإنما قام بمذبحة فايا نفس عام 1917م ومذبحة كانم عام 1940م وتدمير بعض المدن التشادية أمثال موسورو ببحر الغزال.

وبرغم هذه الحوادث صمد التعليم العربي فإن شأت معه د من قبل المواطنين حفاظا على مستقبل أبنائهم الثقافي والديني ضد الثقافة الفرنسية الغازية، ومن هذه المعاهد:

معهد أم سويقو العلمي الإسلامي بمدينة أبشة عام 1946م؛

معهد بستان العارفين للتربية الإسلامية بمدينة أبشة عام 1955م؛

المركز الإسلامي بمدينة أنجمينا عام 1955م؛

معهد الثقافة الإسلامية بأنجمينا عام 1956م؛

مدرسة النهضة العربية بأنجمينا عام 1958م.

كما أشعلوا من نيران الخلاوي وأشهرها في تلك الفترة:

خلوة الشيخ آدم بركة بمدينة أبشة؛

خلوة الشيخ جبل يونس بمدينة أبشة؛

خلوة القوني عمر بمدينة أنجمينا؛

خلوة القوني تجاني محمد الأول بمدينة أنجمينا؛

خلوة محمد زين بموسورو.

إلى جانب هذا، توقد نيران القرآن الكريم في البوادي والقرى التشادية الكثيرة العدد. ونظرا لذلك، قام المستعمر بمحاولات منع أبناء المسلمين بعد التخرج من هذه المعاهد والخلاوي من الذهاب إلى البلدان العربية لاكتساب العلم والمعرفة، وليتمكن هو من نشر لغته وثقافته بين أوساط الأمة المسلمة، قام بتأسيس المدرسة الإعدادية الفرنسية العربية عام 1957م بمدينة أبشة.

من عام 1960م بعد أن استقلت البلاد، فإن دستور 14 أبريل عام 1960م فقد منح مكانا للغة العربية في التعليم، فأدخلت وزارة التربية الوطنية تعليم هذه اللغة في برامجها كمادة اختيارية، ففي أكتوبر عام 1961م عين أول مفتش رئيس قسم التعليم العربي، مهمته إعداد التعيين وتثبيت وترقية الموظفين وإعداد برامج المعلمين والقيام بشراء وتوزيع الكتب المدرسية وأيضا تنظيم التدريبات التربوية.

وقد جعل التعليم العربي علمانيا بمرسوم رقم 117 الصادر بتاريخ 1 يناير 1962م والذي يتركه دائما اختياريا في مادتيه الأولى والثانية، فهو يهدف إلى تعليم الطفل القراءة والكتابة والمحادثة مع الآخرين. وأيضا القرار رقم 1558 الصادر بتاريخ 1 يناير 1962م والذي يحول إعدادية وداي إلى ثانوية وطنية فرنسية عربية بأبشة، لتدريب المعلمين المزدوجين المخصصين في تدريس الفرنسية والعربية لتلاميذ المرحلة الابتدائية.

دستور عام 1962 نص في ديباجته في الفقرة 14: هذا القانون يقضي بأن التعليم العام علماني ويدرس باللغة الفرنسية، وجعلت مكانة خاصة للغة العربية. القرار الذي تم في عام 1967م جعل المدة في القسم المزدوج ست سنوات، حيث خصصت السنتان الأخيرتان للتدريب المهني.

هذه القرارات أدت إلى إعادة تنظيم التعليم العربي في المدارس الفرنسية، حتى ولو ظلت الميزة الاختيارية إلا أن طريقة العمل للمعلمين بالعربية تغيرت. وجاء في تقرير نشر عام 1978م أن سبب إعاقة التعليم العربي هو المرسوم

رقم 117 الصادر بتاريخ 161962م من رئاسة الجمهورية، حيث يشمل جميع الإجراءات المميزة لكبح اللغة العربية، فلنذكر مادتين من هذا المرسوم وهما المادة 2 والمادة 5:

المادة 2: تعليم اللغة العربية في جميع المستويات اختياري ولا يمكن أن يتم تدريسه إلا خارج التوقيت الرسمي، في حدود الإمكانيات المتاحة.

المادة 5: الأعمال الشفهية والتحريرية المنفذة أثناء دروس اللغة العربية تخضع لإعطاء درجة لا تدخل في اعتبار الترتيب السنوي والشهري للتلميذ.

لذلك فإن هذا المرسوم رقم 117 لم يسن من أجل التنظيم وإنما سن من أجل استحالة تعلم اللغة العربية وتحديثها وتكميلها للغة الفرنسية.

ففي عام 1980/1970 أنشأت الشهادة الجامعية للمرحلة الأولى باللغة العربية بمرسوم رقم 237 الصادر بتاريخ 4 أبريل 1972م. وفي القسم المزدوج بالثانوية الوطنية الفرنسية العربية بأبشة أنشأت مرحلة ثانوية تتوج بشهادة ثانوية أدبية مزدوجة عام 1977م، بينما اللغة العربية في بعض المؤسسات الثانوية للدولة تمارس كلغة حية أولى أو لغة حية ثانية كما هو في غالب المدارس الثانوية والإعدادية.

الميثاق الأساسي للجمهورية لعام 1978م يطالب باللغة العربية كلغة رسمية ثانية للدولة. جاء في المادة 24 في الفقرة 14 و15 إصلاح النظام التربوي لتكييفه مع الحقائق الاجتماعية والاقتصادية لتشاد، والفرنسية والعربية هما اللغتان الرسمية للبلاد، ولأول مرة يعلن عن رسمية اللغة العربية مساوية للفرنسية.

في عام 1990/1980م حولت مفتشية التعليم العربي إلى إدارة بتاريخ 16 ديسمبر 1981م، فهي مكلفة بالمهام الإدارية والتربوية لكافة المؤسسات الخاصة والتعليم العربي في المؤسسات العامة. ويوم 18 أكتوبر 1982 أصبحت اللغة العربية رسمية مساوية للغة الفرنسية كما نص عليها الميثاق الأساسي للجمهورية.

ففي عام 1983م نصت التوقيت والبرامج الرسمية على ست ساعات في الأسبوع من حصص اللغة العربية في المدارس الفرنسية العامة، ونفس هذه الساعات يجب أن تدرس فيها اللغة الفرنسية في المدارس العربية. أنشأ في المعهد الوطني للعلوم التربوية قسم اللغة العربية بقرار رقم 025 صادر بتاريخ 1 أكتوبر 1986م.

تأسيس الشهادة الثانوية العربية الرسمية: تأسست الشهادة الثانوية العربية الرسمية بقرار رقم 60 صادر بتاريخ 24 أبريل 1987م، ويؤكد دستور جمهورية تشاد في بابه الأول ومادته 6 الأحكام السابقة للميثاق الأساسي المتعلقة باللغات الرسمية للدولة.

عام 1990م ابتداء من أول ديسمبر 1990م ألغي الدستور، أما الميثاق الوطني فقد أعاد وأكد أن اللغتين الرسميتين هما الفرنسية والعربية. منذ عام 1991م ألغيت إدارة التعليم العربي ودمجت أقسامه في الإدارات الأخرى.

الدول العربية والمنظمات الدولية الإسلامية ودورها في نهضة التعليم العربي في تشاد

للدول العربية والمنظمات الدولية الإسلامية دور كبير في نهضة التعليم العربي في تشاد، على سبيل المثال:

قامت جمهورية السودان بتأسيس مدرسة الصداقة السودانية التشادية عام 1971م، وقد تخرج آلاف الطلاب التشاديين في مختلف التخصصات والمستويات من مختلف المعاهد العليا والجامعات السودانية، وكان للمنهج السوداني تواجد كبير في مختلف المدارس التشادية في الفترات السابقة.

لمنظمة الدعوة الإسلامية الفضل في إنشاء ثانوية ابن سينا بأنجمينا عام 1992م وثانوية حمدان بن راشد بأبشة.

قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء المركز الإسلامي للملك فيصل عام 1973م واستقبال أعداد هائلة من الطلاب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الرياض وفي معاهد أخرى من المملكة.

ترسل جمهورية مصر العربية بعثات من الأزهر الشريف منذ عام 1976م حتى يومنا هذا، وقامت ببناء ثلاث مدارس أزهريّة في العاصمة وأبشة وسار.

قامت دولة الكويت عبر منظمة لجنة مسلمي إفريقيا بتأسيس المركز الإسلامي الكويتي عام 1991م.

المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم قامت بإنشاء المركز التربوي لتأهيل المعلمين في تشاد عام 1998م.

لا ننسى دور الجماهيرية العربية الليبية في المشاركة الفعالة في عملية تطوير التعليم العربي في تشاد من خلال مؤسساتها الكبرى: المركز الثقافي العربي الليبي وكلية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية التربية فرع جامعة سبها، وبرنامج تعيين أكثر من 350 معلما من قبل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ولهذه الجمعية الفضل في إنشاء جهاز يسمى فريق الإشراف والتوجيه والمتابعة يتكون من 14 مشرفا تربويا يقومون بالإشراف على 351 معلما، وغير ذلك من أساتذة ودكاترة خريجي مختلف الجامعات الليبية.

كما لا ننسى أيضا جهود المؤسسات غير التربوية: رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والبنك العربي للتنمية في إفريقيا.

ولقد ساهمت الجامعات في ذلك:

جامعة تشاد جامعة أنجمينا حاليا أنشأت عام 1971م وفتح قسم اللغة العربية فيها عام 1974م وقسم الفيزياء والكيمياء باللغة العربية عام 1998م.

جامعة الملك فيصل أنشأت عام 1992م.

كلية الدراسات العربية والإسلامية أنشأت عام 1998م.

جامعة آدم بركة بأبشة عام 2004م.

وهناك معاهد ومؤسسات عليا كثيرة خاصة وعامة أنشأت لكي تساهم في تطوير اللغة العربية.

التعليم العربي في تشاد قبل الاستعمار وبعده: كانم ووداي

أولا: التعليم العربي في الفترة ما قبل الاستعمار فترة الممالك والإمبراطوريات:

أ كانم: كانت اللغة العربية هي لغة المعاملات الرسمية وهي أيضا لغة دواوين المؤسسات الدولة ولغة القوافل والتواصل مع الإمبراطوريات والممالك الأخرى، والسبب في جعل اللغة العربية تحتل هذه المرتبة أنها كانت لغة العبادة والمعاملات الدينية. فكانت تدرس في الخلاوي والمساجد، وكان الشعراء يكتبون بها أشعارهم. وهذا إن دل فإنما يدل على أن التعليم باللغة العربية في تلك الفترة كان في أوجه، حيث اشتهرت مملكة كانم بحبها للعلم وابتعاثها للبعثات العلمية إلى الممالك والدول الإسلامية آنذاك مثل مصر التي سمي بها أحد الأروقة بالأزهر الشريف برواق كانم.

ب وداي: بحكم أن مملكة وداي أقرب من حيث الثقافة إلى البلدان العربية لذا كان تأثيرها واضحا في التعليم العربي، حيث كانت المملكة تعتمد على العربية كسابقها إلا أنها تميزت بتوفر عدد كبير من العلماء فيها، وكانت تنتهج نهجا مبنيا في التعليم حيث تعددت المدارس وفنون المعرفة. ولكن كانت هناك عقبات وقفت أمام ازدهار التعليم العربي في كامل ربوع المملكة منها: انشغال المملكة في تأمين حدودها وتوسيعها، والانقسامات التي حدثت في أواخر أيام المملكة.

ثانيا: التعليم العربي في فترة الاستعمار من عام 1900 إلى 1960م: تشير الدراسات بأن تشاد كانت دولة رائدة ومهمة في المنطقة قبيل الاستعمار، ولكن بحلول الاستعمار فقدت تلك الممالك التي كانت تمثل تشاد آنذاك سيطرتها، ووقف الاستعمار ضد كل من ينادي بمحاربته، حيث كان الاستعمار الفرنسي هو العقبة الكبرى في تقدم وازدهار التعليم العربي في ذلك الوقت، حيث حارب العلماء ورجال الدين وتسبب في تشريدهم ونفيهم من البلاد، حيث هاجر كثير منهم إلى

الجارة السودان مخلفين مدارسهم وخلابهم خرابا. ومن هنا كانت المشكلة الأولى للتعليم العربي عدم وجود القدوة والمعلم، لأن أغلب هؤلاء العلماء هاجروا إلى السودان أمثال عووضه وعليش.

ثالثا: فترة ما بعد الاستقلال من عام 1960م: في هذه الفترة مر التعليم العربي بمراحل: أولا مرحلة الركود والجمود، ثم بعد ذلك تغير الوضع إلى بداية الانطلاقة بالتعليم العربي شيئا فشيئا، وذلك كان تبعا للتغيرات السياسية التي مرت بها تشاد من توتر العلاقات مع فرنسا، واتجه تومبلابي للتعامل مع الكيان العربي مما أدى ذلك إلى ترسيخ الأسس للبنية التعليم العربي في تشاد، وتمثل ذلك في فتح مجال الدراسة بالعربي إلى الابتدائية وتكوين المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي ساهم بطريقة مباشرة في تفعيل التعليم العربي. ولكن مع ذلك كله كانت هناك الكثير من المشاكل التي كانت تعترض تقدم التعليم العربي منها: تأثر البلد بالفكر الاستعماري، وتضييق الأفق للدراسة باللغة العربية تتوقف عند المرحلة الابتدائية فقط، وغياب التوعية نحو أهمية التعليم بلغة الأم.

رابعا: فترة الحكم الدكتاتوري: في هذه الفترة شهدت اللغة العربية والتعليم بها تطورات بسبب الأحداث السياسية في تلك الآونة، وارتبط التعلم بها بالخيانة والعمل لجماعات خارج البلاد، وذلك كان مشكلة أساسية ومحورية حصرت تعلم اللغة العربية في الخلاوي والبيوت. ولكن في نفس الوقت وفي أواخر عمر النظام الدكتاتوري حدثت تغيرات على الصعيد التعليمي حيث سمح ولأول مرة للدارسين باللغة العربية بامتحان الشهادة الثانوية العربية، وكان ذلك في العام 1988.

الاستعمار والتعليم العربي في السنغال للمقارنة

التعليم العربي الإسلامي كان الأرضية الصلبة التي قامت عليها ثقافة السنغاليين إلى أن جاء المستعمر فعمل على تحويل المناهج ورسم أهدافه المرحلية والبعيدة، ووضع الوسائل الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف مما أدى إلى تغيير الوضع وإحلال وضع جديد محله. ومن خطط تلميع صورة المستعمر أمام المسلمين: تغيير اسم المدرسة من مدرسة أبناء زعماء القبائل إلى المدرسة العربية الفرنسية، وتقديم مساعدات مالية للمعلمين الذين قبلوا إدخال مادة اللغة الفرنسية في برامجهم، وإدخال مادة اللغة العربية في مناهج التعليم الثانوي الفرنسي، واعتبار اللغة الفرنسية شرطا مبدئيا في الحصول على وظيفة في المدارس والمناصب الحكومية.

غير أن إجراءات الترغيب والمراوغة تلك لم تكن كافية لصد المسلمين عن تعليم كتاب الله، فأصدر الحاكم العام الفرنسي فيدرب قانونه الشهير الذي يقضي: لا يسمح لأحد بإلقاء دروس إلا بعد الحصول على رخصة موقعة من الحاكم العام؛ وكل من يريد فتح مدرسة عربية عليه أن يجتاز امتحانا أمام لجنة يرأسها عمدة البلدية؛ وهذه المدارس الإسلامية قابلة للإغلاق في أي لحظة؛ وعلى كل صاحب مدرسة إسلامية مرخصة أن يرسل تقارير دورية عن أسماء تلاميذه كل ثلاثة أشهر.

ومع ذلك كله لم يتوقف المسلمون عن تحفيظ أولادهم كتاب الله والعلوم الشرعية المتاحة، وإن كان بعضهم قد خضع لهذه الإجراءات الإدارية إلا أن عددا غير قليل منهم آثر الانتقال من المدن واستوطنوا البوادي والأرياف التي يصعب على المراقبين أن يصلوا إليها.

المصادر والمراجع كما وردت في الأصل

1. محمد أبوبكر، أستاذ التربية والعلوم، الجامعة الإسلامية في النيجر، جمهورية النيجر مطبوع بدون تاريخ النشر.

25. نفس المرجع.

6. محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة، ص 43.

7. نفس المرجع، ص 43.

8. محمد صالح أيوب، تعريف مملكة كانم.

9. محمد صالح أيوب، مملكة وداي.

10. عمر عثمان عمر مؤرخ تشادي.

11. أهم مراجع الكتب التشادية 1990م.